مصر ضمن الـ10 الكبار اقتصاديًا: رؤية إسلامية لنهضة اقتصادية شاملة (1)

الجمعة 13 يونيو 2025 02:00 م

كتب: د. علي شيخون

د. علي شيخون
أستاذ بجامعة الأزهر وأم القرى بمكة وماردين أورتكلو بتركيا

في لحظة فارقة من تاريخنا، تتلاقى تحديات الحاضر مع آمال المستقبل. هل يمكن لمصر أن تتحول من مجرد حلم إلى واقع ينبض بالحياة؟ هل يمكن أن تصبح نموذجا حقيقيا للنهضة في عالم يتغير بسرعة؟ هذه ليست أسئلة عابرة، بل دعوة لكل مواطن وفكر وقلب ليكون جزءا من رحلة صنع الغد. رحلة تتطلب رؤية واضحة، إرادة صلبة، وعزيمة لا تلين. هنا تبدأ قصتنا، قصة بناء مستقبل يُعيد لمصر مكانتها ويُحيي روحها الخلاقة.

وفي عالم يشهد تحولات اقتصادية جذرية كل يوم، وفي ظل منافسة عالمية شرسة تعيد تشكيل خريطة القوى الاقتصادية، تطرح مصر على نفسها سؤالا محوريا: هل يمكن أن تصبح واحدة من أقوى عشرة اقتصادات في العالم خلال العقد والنصف القادم؟

الإجابة ليست مجرد "نعم" متفائلة، بل "نعم" مدعومة بخارطة طريق علمية واقعية نكشف عنها اليوم من خلال سلسلة استراتيجية تحمل عنوان "مصر ضمن الـ10 الكبار اقتصاديا"، والتي تمتد عبر مقالات متخصصة، تحول الحلم المصري إلى مشروع نهضوي إسلامي قابل للتحقيق.

هذه السلسلة تنطلق من مبدأ إسلامي راسخ، وهو أن الله سبحانه وتعالى استخلف الإنسان في الأرض ليعمرها ويطورها، كما قال عز وجل: "هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" (هود: 61)، فالتنمية الاقتصادية والنهضة الحضارية ليست مجرد طموح دنيوي، بل واجب شرعي ومسؤولية حضارية.

معركة المستقبل تبدأ اليوم

في اللحظة التي تقرأ فيها هذه السطور، تخوض دول العالم معركة ضارية لإعادة تموضعها على الخريطة الاقتصادية العالمية. الصين تطمح لتكون الاقتصاد الأول عالميا، الهند تسعى للوصول للمركز الثالث، كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة تعزز مواقعها كقوى تكنولوجية، فيما تحاول دول كالبرازيل وإندونيسيا وتركيا ترسيخ أقدامها بين الكبار.

وسط هذا السباق المحموم، أين تقف مصر؟ وما هي فرصها الحقيقية في أن تكون لاعبا أساسيا وليس مجرد متفرج؟

الحقيقة أن مصر تقف اليوم على مفترق طرق تاريخي؛ إما أن تستغل نافذة الفرص المتاحة وتطلق مشروعا نهضويا شاملا يضعها في المقدمة، أو تظل أسيرة التحديات والصعوبات وتكتفي بدور هامشي في الاقتصاد العالمي.

لماذا مصر قادرة على المعجزة؟

قبل أن نغرق في التفاصيل، دعونا نؤكد حقيقة جوهرية: مصر تمتلك مقومات نادرة تجعل حلم الوصول للعشرة الكبار ليس مجرد طموح، بل هدف قابل للتحقيق.

أولا، الموقع الجغرافي الاستثنائي الذي يجعل مصر همزة الوصل بين ثلاث قارات، وبوابة التجارة العالمية عبر قناة السويس التي تمر بها 12 في المئة من التجارة العالمية. هذا الموقع لا يمكن أن تمتلكه أي دولة أخرى في العالم.

ثانيا، الثروة البشرية الهائلة المتمثلة في أكثر من 105 ملايين مصري، 60 في المئة منهم تحت سن الـ30، وهو ما يعني قوة عمل شابة ومنتجة لا تتوفر لكثير من الدول المتقدمة التي تعاني من شيخوخة السكان.

ثالثا، التنوع الاقتصادي النسبي الذي يجعل مصر أقل اعتمادا على قطاع واحد، مقارنة بدول أخرى تعتمد على النفط أو الزراعة أو الخدمات فقط.
رابعا، الإرث الحضاري والثقافي الذي يمثل قوة ناعمة هائلة يمكن استثمارها اقتصاديا في قطاعات السياحة والصناعات الإبداعية والثقافية.

دروس من معجزات اقتصادية حقيقية وتجارب حضارية إسلامية

التاريخ المعاصر مليء بقصص نجاح مذهلة لدول حققت نقلات اقتصادية جذرية في فترات قصيرة نسبيا. سنغافورة تحولت من مستعمرة فقيرة في الستينيات إلى مركز مالي وتجاري عالمي اليوم، كوريا الجنوبية انطلقت من اقتصاد زراعي محطم بعد الحرب إلى قوة تكنولوجية عالمية، الصين نفسها بدأت إصلاحاتها الاقتصادية في 1978 وأصبحت اليوم ثاني أكبر اقتصاد في العالم.
وإذا نظرنا للتاريخ الإسلامي، نجد نماذج ملهمة للنهضة الاقتصادية المبنية على القيم والأخلاق. بغداد في العصر العباسي كانت مركز التجارة العالمية وأغنى مدن العالم، الأندلس شهدت ازدهارا اقتصاديا وعلميا لا مثيل له، ومصر ذاتها في عهد صلاح الدين الأيوبي كانت قوة اقتصادية وعسكرية عظمى. هذه النماذج تؤكد أن الحضارة الإسلامية قادرة على تحقيق التفوق الاقتصادي عندما تطبق قيمها ومبادئها بشكل صحيح.
الدرس المهم هو أن التحول الاقتصادي الجذري ممكن، لكنه يحتاج إلى رؤية واضحة مستندة للقيم، وإرادة سياسية قوية، واستراتيجية محكمة، وتنفيذ منضبط يراعي ميزان العدل والإحسان.

منهجية إسلامية فريدة تجمع الأصالة والمعاصرة

ما يميز سلسلة مقالاتنا أنها لا تكتفي بنسخ التجارب الغربية أو الآسيوية، بل تقدم نموذجا إسلاميا مصريا فريدا يستلهم الهدي النبوي والقيم الإسلامية السمحة، ويوظفها كميزة تنافسية في الاقتصاد العالمي.
فالرسول صلى الله عليه وسلم وضع أسس النظام الاقتصادي المتوازن عندما قال: "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة" (البخاري)، مؤكدا على أن العمل والإنتاج عبادة، وأن التنمية الاقتصادية مسؤولية جماعية.
مبادئ العدالة والشفافية والإحسان والتكافل الاجتماعي والشورى في اتخاذ القرار ليست مجرد مُثُل أخلاقية، بل محركات حقيقية للنمو الاقتصادي والابتكار والإنتاجية. النموذج الاقتصادي الإسلامي يقدم بدائل عملية للرأسمالية المتوحشة، ويحقق توازنا مثاليا بين الكفاءة والعدالة، كما أمرنا الله: "وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا" (القصص: 77)، هذا المنهج الإسلامي لا يتعارض مع التقدم التكنولوجي والعلمي، بل يؤطره بالقيم والأخلاق، فالإسلام دين العلم والعمل والحضارة، ولا تعارض بين التقدم المادي والرقي الروحي.

خريطة طريق متكاملة في عدد من المحطات

مبادئ العدالة والشفافية والإحسان والتكافل الاجتماعي والشورى في اتخاذ القرار ليست مجرد مُثُل أخلاقية، بل محركات حقيقية للنمو الاقتصادي والابتكار والإنتاجية. النموذج الاقتصادي الإسلامي يقدم بدائل عملية للرأسمالية المتوحشة، ويحقق توازنا مثاليا بين الكفاءة والعدالة
تتوزع هذه السلسلة محاور متعددة مثل التعليم، وريادة الأعمال، والصيرفة الإسلامية، والأمن السيبراني، والاقتصاد الدائري، والتكامل الإقليمي، والطاقة المتجددة، وغيرها من الموضوعات التي تشكل ركائز النهضة الشاملة.
سلسلة "مصر ضمن الـ10 الكبار اقتصاديا" ليست مجرد مقالات متناثرة، بل مشروع متكامل يشبه الكتاب الإلكتروني المتسلسل، حيث يبني كل مقال على سابقه، ويمهد للاحق، ليشكل في النهاية دليلا شاملا للنهضة الاقتصادية المصرية.
المحطة الأولى تبدأ بوضع الأسس الفكرية والفلسفية للنهضة، حيث نستكشف فلسفة الاقتصاد الإسلامي في عصر الذكاء الاصطناعي والثورة الرقمية، ونضع المنطلقات الشرعية للتنمية المستدامة، ونقدم النموذج التنموي الإسلامي للقرن الحادي والعشرين، مستفيدين من تجارب معاصرة ناجحة كماليزيا التي نجحت في تطبيق نماذج تنموية تحترم القيم الإسلامية.
المحطة الثانية تركز على الإصلاح المؤسسي والإداري، لأن أي نهضة اقتصادية حقيقية تبدأ من إصلاح منظومة الحكم والإدارة. سنتناول الحوكمة الرشيدة، وتطوير الجهاز الإداري، وتحديث الإطار التشريعي، وتهيئة المجتمع للتحول.
المحطة الثالثة تستكشف المقومات الاستراتيجية المصرية الفريدة، من الموقع الجغرافي الذي لا يُقدر بثمن، إلى الثقافة والهوية المصرية كميزة تنافسية عالمية، إلى خريطة الموارد الطبيعية والبشرية وكيفية استغلالها الأمثل.
المحطة الرابعة تضع الإنسان المصري في قلب عملية التنمية، من خلال بناء منظومة تعليمية متطورة، وتعزيز الابتكار وريادة الأعمال، وتمكين المرأة والشباب كقوة دافعة للاقتصاد.
المحطة الخامسة تقدم رؤية ثورية للنظام المالي والمصرفي المتوافق مع الشريعة الإسلامية، حيث نستكشف إمكانيات الصيرفة الإسلامية في عصر التكنولوجيا المالية، ونقدم نماذج مبتكرة للتمويل الإسلامي القائم على المشاركة في الربح والخسارة بدلا من الفوائد الربوية، ونضع استراتيجية لجذب الاستثمارات العالمية الحلال، ونفعل دور الزكاة والوقف في التنمية الاقتصادية.
المحطة السادسة تركز على القطاعات الإنتاجية الاستراتيجية، من الصناعة والزراعة والسياحة، إلى الخدمات اللوجستية واقتصاديات المعرفة والاقتصاد الرقمي.
المحطة السابعة تتناول البنية التحتية والتنمية المستدامة، من ثورة البنية التحتية والتنمية العمرانية الذكية، إلى الطاقة المتجددة والاقتصاد الدائري.
المحطة الثامنة تستكشف فرص التكامل الإقليمي والدولي، وكيف يمكن لمصر أن تكون قائدا للتكامل العربي والإسلامي مستلهمة مبدأ الأخوة الإسلامية: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (الحجرات: 10)، ولاعبا مؤثرا في الاقتصاد العالمي من خلال نموذج تنموي أخلاقي يقدم بديلا حضاريا للنماذج السائدة.
المحطة التاسعة والأخيرة تقدم آليات الحوكمة والتقييم، ومؤشرات قياس التقدم، واستراتيجيات ضمان الاستدامة.

لمن هذه الخارطة؟

هذه السلسلة ليست موجهة للاقتصاديين المتخصصين فقط، بل لكل من يهمه مستقبل مصر الاقتصادي؛ صناع القرار في الحكومة سيجدون فيها دليلا عمليا للسياسات المطلوبة، رجال الأعمال والمستثمرون سيكتشفون فرصا ذهبية لم تكن واضحة من قبل، الشباب سيجد خريطة طريق لدوره في النهضة، المثقفون والإعلاميون سيحصلون على مادة غنية لنشر الوعي الاقتصادي.

الوقت الآن أو لا

الحقيقة القاسية أن النوافذ التاريخية للتحول الاقتصادي لا تظل مفتوحة للأبد، العالم يتحرك بسرعة مذهلة، والدول التي تتردد اليوم ستجد نفسها غدا خارج السباق تماما.

السؤال الآن: هل ستستغل مصر هذه الفرص أم ستتركها تفلت من بين يديها؟

خلال الأسابيع القادمة، ستكشف لكم هذه السلسلة أن مصر ليست فقط قادرة على الوصول لمصاف العشرة الكبار، بل إنها تستحق أن تكون هناك محققة للرسالة الحضارية التي حملتها عبر التاريخ والأهم من ذلك، ستقدم لكم الطريق العملي لتحويل هذا الحلم إلى حقيقة ملموسة يعيشها كل مصري بحلول عام 2040، في إطار مشروع نهضوي يحقق قول الله تعالى: "وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ" (النجم: 39).

مع كل مقال في هذه السلسلة، نخطو خطوة جديدة نحو تحقيق هذا الحلم، خطوة تتطلب عزيمة لا تلين، وإيمانا بأن مصر قادرة على استعادة مكانتها الاقتصادية والحضارية الطريق ليس سهلا، لكنه واضح، والفرصة الآن فلنبدأ معا، ونعمل بإصرار، مستنيرين بهدي الإسلام، حتى نكتب فصلا جديدا من تاريخ مصر، فصوله النهضة والازدهار والكرامة.

مصر تستحق المقدمة والطريق واضح وبالعزيمة والتوكل على الله نبدأ الرحلة نحو عمارة الأرض والنهضة الحضارية الشاملة